

الليل والرجال

قصة بقلم وليد حجاج عبد

اسمك من جدار ؟!) لكان ليل العالم بأسره قد تجمع في هذا المكان ، واستحال الى شيء عاقل يعاكسه . واحس انه يكرهه وبمقته . . . مرة ارسلته أمه لشراء حاجة . كانت الدنيا ليلا . . . (كان صغيرا آنذاك) ، وبينما هو سائر مر من امام دار يقام بها حفل عرس ، وصادف مروره لحظة دخول العريس ، ورأى بأعين مفتوحة ثلاثة من الخراف تدبج ويسيل دمها على الارض غزيرا . . . أحمر . . . قانيا . . . وأثناء عودته للبيت بدأ لعينه الليل شامسا وصورة الخراف المظلومة المسكينة تلازمه وهي ترتعد والدم يتفجر منها . . . لكم بدا الليل كشيئا جدا في عينيه . ومثل هذه الليلة ليلة عاد المجاهدون بوالده شهيدا الى قرية الطيرة والنهليل تضج به حناجر الرجال ووجه والده الفرج بالدم وسنوات وسنوات من حياته هو تفرجت بالبؤس والدم والجوع . . . وزفر . . . وليالي كانون الاول ، اجل هي الاخرى كم يذكر ظلامها الكثيف والصغير يرتعد أمام مداخل دور السينما في دمشق ليبسج ما يحمله من قطع الكاتو أو الكمك ، والمزاريب في الشوارع الخاوية يتعالى نسيجها . . . لشد ما تاق الى دفء البيت والفراش ووالدته في تلك الليالي ، الا ان جثة ابيه القليل والدم الذي صرح وجهه وظلام تلك الليلة السميك كالجدار يسمره في مكانه حتى يخرج رواد دور السينما . . . ان ساعده الضعيف اشتد وان فرخ الصفر قد طار واشتعلت في صدره النار . وهتف رباح :

- احترس . الهدف امامكم .
- أجل .

وابصر المسكر المعادي على مسافة مائة الى مائة وخمسين مترا . . . كانت تحجبه عنهم تلة صغيرة وقد انكشف الان عندما اصبحوا فسي اسفل التلة من الجهة المقابلة .

وهمس علي : لنهيه انفسنا على مهل هنا .
قال رباح : حسنا . . . هيا .

وابتدأت عملية تجهيز السلاح وبعد ثوان صاح رباح :

- نحن على استعداد . اذهب يا علي . قم بعملية الحراسة والحماية على التلة . لا تفتح النيران الا اذا شعرت بانها ضرورية ومجدية طبعاً .

وابتدأت عملية قصف المسكر .

وصاح رباح : احسنت يا حميد . اعتقد ان مهجع الجنود هو الذي اصيب . ان النيران لتتهمه . . . حسنا جيدا . غير مكانك بسرعة .

وخلال تفيير حميد لمكانه ، كان رباح قد اطلق هو الآخر القذيفة الثانية وهتف :

- انظر . اصيب برج المراقبة . . . انتبه . . . انتبه . ابتدأت رماية العدو .

وتحول الليل الى نهار وصعدت السماء قذائف ملتهبة مشتعلة انارت المكان وابتدأت تهبط ببطء شديد . وصاح علي من التلة : يكفي . انسحبوا ايها الاخوان .

تحدث الليل بصوت خفيض سمعته الدماء في العروق فقال : « خذوا حذرکم » فتحسس الاشباح الثلاثة السلاح ، وكان يساردا كالصمت الذي يوغلون فيه قدام منذ ثلاث ساعات . ونظر حميد خلفه فانطلق ضوء قرية النخيلة ✘ فعلم ان الساعة الثانية عشرة . فهذا الضوء يطقا عادة في هذا الوقت . وارتسمت على سفح الجبل القائم قبالتهم ظلال قرمزية باهتة رمت بها انوار مستعمرة هونين (٢) .

ورمق حميد المكان بنظرة متفحصة هادئة . . . كان المكان غارقا في ظلمة كثيفة فحث خطاه مع زميليه . كان رباح يمشي أمامه ، أما علي فعلى اربع خطوات منه الى جهة اليمين . وقد سمع انفاسهما ترتد ببطء وحزم تحت الثقل الذي تنوء به اكتافهما . وحدث نفسه : « عما قريب يستريحان ويضعان ما يحملان وعندها سينفجر هذا الصمت وسيستحيل الليل الى نهار ويمتلئ الجو بالرصاص والموت والجنون . »

وتابعت الاقدام السير بينما تنفس جوف الارض في هذه اللحظات عن هدير خيل اليه أنه تجاوزت اصداؤه في كل مكان . وتحول الرجال الى اذان وحمل الليل الاصوات بوضوح .

همس رباح من المقدمة « لقد مرت الى الامام » وتابع الرجال السير بعد ان اختفى كل أثر للعربة المجنزرة التي مرت غير بعيد عنهم . وعاد السكون وهبت نسمة حركت الاعشاب الجافة وحملت لاذنيه اصوات الكثير من مخلوقات الارض الصغيرة السابحة في الظلمة والعشب . وحدث نفسه : « الرجال وحينون في هذا الليل القطبي . . . ان ليل بعدا وهم يتبهون الآن في ذلك البعد . » ولكن ما بال علي الى يمينه قد اطبق فكيه بمثل هذه الشدة والنف ؟ ايكون خائفا أم تراه يستشعر البرد ، ام هو وحيد هو الاخر في هذا الليل ؟ ولكن الأرجح انه يحاول العثور على نجم يهديه سواء السبيل في هذا الخواء الهائل وهمسي : « علي » .

وسمعه يجيب : نعم ما بالك ؟
- هل تشكو شيئا يا علي ؟
- مثل ماذا ؟ او ماذا تظن بالاحرى ؟
- هل تشعر بقليل من الخوف والوحدة ؟
- ربما ولكن ليس كثيرا وباستطاعتي فيما احسب ان اقضي عليه عند اللزوم .

- حسنا . اسأل رباح كم بقي لنا للوصول للهدف ؟
وتحدث الشيخ السائر في المقدمة بصوت يشوبه الحذر والانداز :
- لم يبق الكثير ، حوالي نصف ساعة من السير . كونا على حذر . يبدو أن المكان تجوبه دوريات مستمرة للعدو .

وعاد رباح الى الصمت وهو يسير في المقدمة بخطوات واسعة يتبعها زميلاه بينما تسأل حميد في داخله : « ما بال هذا الليل

✘ النخيلة : قرية سورية تتاخم الحدود اللبنانية الاسرائيلية .
(٢) - هونين : مستعمرة اسرائيلية في الجليل الاعلى .

انسحب الرفاق ولم يبق في الساحة غير العدو ، انهم يتقدمون ببطء .. كم هم حذرون بل خائفون .. يجب ان اطلق حتى لا يفتنوا السى
 خلو الساحة فيتعقبوا الرفيئين .. وارعد الرشاش بين يديه فاناه
 الجواب حالا وهمس الرصاص بين الاعشاب واز على الحجارة فطارت
 قطعات صغيرة منها .. لا بأس جازت الحيلة . انهم يتقدمون نحوى
 الان وبمزيد من الحذر .. يجب ان تقدم لهم الهدية ويؤخذ بشأ
 القتل . ذلك يعني ان ارتاح قليلا .. ولكن ماذا لو وجدوني ميتا ..
 اجل لو انتهت الحياة قبل ثوان من تقديم الهدية ؟ وادار بصره فيما
 حوله ، كانت قد حجيت وجه القمر غيمة هائلة سوداء وفكر : من
 المحتمل ان يهطل المطر بعد قليل .. ولكن لن يكون هنا . وعاد يحرق
 في وجه القمر . كانت السحابة قد حجته تماما عن الميون . ونظر
 حوله . كانوا قد اصبحوا على بعد لا يزيد عن اربعين مترا .. يستطيع
 ان يرتاح ثواني قليلة اخرى .. هذه الغيمة تشبه تلك الغيوم التي كان
 يسميها وهو صغير بالحوت الذي قالت له جدته انه يأكل القمر ..
 كان يصدق ويخرج مع صبية الحارة يقرعون القصدير لافزاع الحوت
 حتى يترك القمر .. وندت حركة قريبة منه فتوثبت حواسه كلها ..
 كانت هناك ظلال داكنة قريبة تقترب منه .. سحابة اخرى شبيهة
 بتلك التي في السماء والتي تاكل القمر ولكنها اكبر من ان يفزعها
 الاطفال والقصدير . وجمع قواه كلها ، هذه الغيمة الجديدة اللعينة
 لا بد لها من الرجال .

وازداد الليل كثافة كأن ليل العالم القى ثقله في هذا المكان وشعر
 بعمده تطحن الفراغ والدوار يعصف برأسه فايقن انه لسن يستطيع
 صبورا . وابتمسم للغيب وهب واقفا ، وهدر السلاح بين يديه ..
 وكان مئات الابر وخزت رأسه وصدره وساقيه فهوى .. وعندها شعر
 برباح يقبله مرة اخرى في جبينه .

ولياد حاج عبد

وهتف حميد : لا .. فذيفة اخرى .. آه ها هي تلك العربية
 نصف المجنزرة وسنصلنا بعد قليل .. لا .. خذي .
 واطلق . فاندلعت النيران في العربية ونفض الدم خلف طبلتي
 اذنيه .. آه يا حلكة الليالي السود يا دم القليل .. وهم بمعاودة
 الكرة فيما صرخ علي بجنون : اخوي .. انسحبا . انظرا من ايسن
 اتوا . ساجبرهم على تغيير اتجاه هجومهم .

وهدر الرشاش الذي يحمله فتوقفت السيارة الاولى وترجل
 منها عدد من رجال العدو وصاح براح :

- لم يبق اي مجال للبقاء .. هيا يا حميد .. هيا يا حميد هيا
 اسرع .. يا الله اين انت ؟

واضاعت قبيلة مضيئة المكان ، فرأى براح وعلي حميدا جالسا
 على الارض والدم يغمر وجهه .. وأن علي :

- اخي انت مصاب ، ولم تتكلم ؟
 وحشر حميد : لا فائدة .. لا وقت .. اللسه ! لماذا انتما
 وافغان هكذا ؟ اذهب ! اذهب ! اذهب سريعا !

واضاف بصوت واهن :
 - اعتقد ان اصابتي بليقة . انه صدري واصابة خفيفة فسي
 رأسي .

وسعل ، وخرجت دفقة دم من فمه فأشار اليها بصمت .
 - حسنا .. دمدم براح .
 وتلاقت العيون فانحنى براح وقبل جبينه ورأى حميد دمتين
 كبيرتين تترقرقان في عيني براح بينما اطلق علي زخة من النيران .
 وهمس حميد بصوت مبسوح :
 - اذهب يا رفيقي . رعاكما الله .

خفتت اصوات الرجال بعد قليل فكرر حميد مرة اخرى فسي
 نفسه ببطء « اذهب . رعاكما الله » انني اشعر برأسي صاحيا وقد

هكذا انتصر الفيتكونغ

بقلم

ريمون نياطي

« فقد « الفيتكونغ » منذ ان دخل في حرب المواجهة المباشرة مع اميركا ما يقرب من نصف مليون
 مقاتل ، خلاف الجرحى والاسرى ولا سيما الذين تلتف اعصابهم وانهاى عليهم اليأس .. ورغم ذلك ،
 صمدت الجبهة ، وواصلت الكفاح بعزم اكبر ، وبقدرة دفاعية اقوى حتى استطاعت ان توجه ضرباتها المتتالية
 في قلب العاصمة سايفون التي تنتظر الآن هجوما كاسحا عليها ...

« لقد استطاعت الجبهة ان تقود كفاح الجماهير الشعبية وان تصمد ببطولة امام اكبر واقوى دولة في
 العالم .. وقد اقتنع العالم كله بشرعيتها ولم يبق الآن سوى الاعتراف بها رسميا ، ومسن جانب الولايات
 المتحدة اولا .. وهكذا انتصر الفيتكونغ » .

كتاب نحتاج اليه الآن ، لانه يحمل لنا دروسا كثيرة في نضالنا وكفاحنا لاستداد ارضنا المسلوبة ..

صدر حديثا

٢٥٠ ق ٠ ل